ابن خفاجة الاندلسي

— ٢ —

« لفظ شعره وأسلوبه »

يمكن قارئ ديوان ابن خفاجة الناظر فيه بعين النقد والتأمل — ان يصفه بما يأتي :

(١) — جزالة اللفظ

فان ابن خفاجة وان تخلف به زمنه عن أمثال احمد بن عبد ربه كثيراً وتأخر عصر جوده عن أمثال ابن زيدون قليلاً يقل عنهما في الرقة وسهولة اللفظ فتغلب عليه جزالة اللفظ وفخامته في كثير من قصائده ومقطعاته سالكاً طريقة المتقدمين من اهل الاندلس ، كابن هانئ والرمادي وابن دراج القسطلي بالرغم من وصفه هو شعر نفسه باللين واللدونة في قوله :

وحسبك من شعر يكاد لدونة تغني به النبت الهشيم فيورق

ولا ننكر ان له من المقطعات والقصائد ما يكاد يذوب رقة وسهولة الا انه قليل بالاضافة الى سائر شعره .

فمن جزل قوله من قصيدة يصف جبلاً :

وليل اذا ما قلت قد باد ، وانقضى ، تكشف عن وعد من الظن كاذب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب لاعتنق الآمال بيض ثرائب
فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس تطلع وضاح المضاحك قاطب
رأيت به قطعاً من الفجر أغبشا تأمل عن نجم توقد ثاقب
وأر عن طماح الذؤابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقور على ظهر الفلاة كأنه ... ظوال الليالي مفكر في العواقب
بلوث عليه الغيم سودَ عمائم ... لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصختُ اليه وهو أخرس صامت ... فحدثني ليل السرى بالمعجائب
وقال ألا كم كنت ملجأ قائل ... وموطن أوّاب تبتّل تائب
وكم مرّ بي من مدلج ومؤوب ... وقال بظلي من مطيّ وراكب
ولاطم من نكب الرياح معاطفي ... وزاحم من خضر البحار غواربي
فما كان الا ان طوتهم يد الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خفقُ أيكي غير رجفة أضلع ... ولا نوحُ ورقي غير صرخة نادب
وما غيّض السلوان دمعي وانما ... نزفت دموعي في فراق الصواحب
فحتى متى أبقي ويظعن صاحبٌ ... أودع منه راحلاً غير آيب
وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً ... فمن طالع أخرى الليالي وغارب
فأممني بن وعظه كلّ عبرة ... يترجمها عنه لسان التجارب
فسلّى بما أبكى وسوّى بما شجا ... وكان على عهد السرى خير صاحب
وقلت وقد نكبت عنه لِطية ، ... سلام فانا من مقيم وذاهب

ومن سهله قوله في صفة بطاح وظلال :

سقياً لها من بطاح أنس ... وروح حسن بها مطل
فما ترى غير وجه شمس ... أظل فيه عذار ظل

وقوله في غلام بقل عذاره :

أيها التائه مهلاً ... ساءني ان تهت جهلا
هل ترى فيما ترى ... الا شباباً قد تولى
وغراماً قد تسرى ... وفؤاداً قد تسلى
أين دمع فيك يجري ... اين جنب ينقلي
اين نفس فيك تهدى ... وضلوع فيك تصلي
اي ملك كان الا ... عارض وافي فولى
وتخلى عنك الاّ ... أسفاً لا يتغلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانطوى الحسن فهلا أجمل الحسن وهلا

(٢) — ايجاز أسلوبه لكثرة مايزحم لفظه بالمعاني والاستعارات او التشبيهات المتعددة في البيت الواحد كما سيأتي بعد .

(٣) — محاكاته في كثير من قصائده فحول المتقدمين معارضاً لهم في وزنهم ورويهم كأبي نواس وابي تمام والبحتري وابن هانئ والمتنبي ، فمن ذلك قصيدته الرائية التي يمدح بها الوزير اباعامر ، يعارض بها ابن هانئ الاندلسي في رائيته التي اولها :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر

وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الاخضر

فيقول ابن خفاجة في مطلع قصيدته متغزلاً :

حدر القناع عن الصباح المسفر ولوى القضيب على الكثيب الأعفر

وتملكته هزة في عزة فارتج في ورق الشباب الأخضر

متنفساً عن مثل نفحة مسكة متبسماً عن مثل منتظم جوهر

سألت عليَّ سيوفها أجفانه فلقيتهن من المشيب بمغفر

متجلداً أريا بنفسي ان يرى هذا الهزبر قتيل ذاك الجؤذر

وقوله في ميميته يعارض بها ابا نواس في قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

فان ابن خفاجة يقول في ميميته هذه وأغار عليه في بعضها :

قل لمسرى الريح من إضم ولياليها بذي سلم

طال ليلي في هوى قمر نام عن ليلي ولم أنم

وهي طويلة جميلة .

وقوله في يائيته يعارض بها ابا الطيب المتنبي في قوله (وأغار عليه) :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا

فان ابن خفاجة يقول في يائيته :

كفاني شكوى ان أرى المجد شاكيا وحسب الرزايا ان تراني باكيا

وهي طويلة جيدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤) — كثرة استعماله للمجاز والاستعارات والتشبيهات ، وكثيراً مايزحم بها البيت الواحد حتى تغمض معانيه ، ويزيدها غموضاً خفاء علاقاتها ببعد لوازمها فمن الاول قوله يصف متفرجاً :

وصقيلة الأنوار تلوي عطفها ... ريح تلف فروعها مقطار
عاطى بها الصهباء أحوى أحور ... سحاب أذيال السرى سحار
والنور عقد والغصون سوالف ... والجذع زند والخليج سوار
بحديقة ظل اللمى ظلا بها ... وتظلعت شنباً بها الأنوار
رقص القضيب بها وقد شرب الثرى ... وشدا الحمام وصفق التيار
غناه ألحف عطفها الورق الندي ... والنف في جنباتها النوار
فتطلعت في كل موقع لحظة ... من كل غصن صفحة وعذار

ومن الثاني قوله في وصف فرس أشهب بعد موقعة :

وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق ... كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا
ترى به ماء نصل السيف منسكباً ... يجري وجاحم نار البأس مشتعلا
فغادر الطعن أجفان الجراح به ... رُمداً وصيّر أطراف القنا فُتُلا
وأشرق الدم في خد الثرى خجلاً ... وأظلم النقع في جفن الوغى كُحُلا

معاني شعره

وابن خفاجة من المجوّدين للمعاني المؤثرين جانبها على جانب اللفظ ، وكأنه أحس ذلك من نفسه فحاول جبره بكثرة الجناس والطباق كما فعل ابو تمام ، فاذا سلم له اللفظ من معرة التكلف مع تجويد المعنى جاء شعره غاية الغايات ، والا فقد أتعب الذهن واستوقف النظر في تفهمه واستجلاء غامضه .

ويمكن القارئ لديوانه إجمال الامور الغالبة على معانيه فيما يأتي :

(١) — غلبة ازدحام المعاني على اكثر شعره فيحمل اللفظ القليل انما معنى متشعب المناحي والعلائق وأما معاني متعددة : مما أورث بعض شعره تعقيداً وغموضاً . وفي ذلك يقول ابن خلدون في باب انقسام الكلام الى فني النظم والنثر مما يجب على الشاعر ان يراعيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في شعره « ولا يكون الشعر سهلاً الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر ابي بكر بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الأساليب العربية كما مر » يريد ابن خلدون بالاساليب انحاء نحى العرب في جعل مادة الشعر الخيال والوجدان لا القضايا الفلسفية . اما مايعيبه على ابن خفاجة فهو ازدحام البيت من أبياته بخيال منتزع الصورة من متعدد كثير او بعدة أخيلة ، فيكون فيه جملة استعارات ومجازات في اللفظ والاسناد ، متداخل بعضها في بعض ، او جملة تشبيهات كذلك ، وقد كنى ابن خلدون ابن خفاجة بابي بكر مع اشتهاره بكنية ابي اسحاق ولا يعرف شاعر مسمى بابن خفاجة مشهور بانه شاعر شرقي الاندلس الا شاعرنا هذا فتكنيته بابي بكر سهو من ابن خلدون او أن له كنيتين فمن ذلك قول ابن خفاجة في المدح :

فاركض الدهر سابحاً ، وانتض الملـ ـدار سيفاً ، واستصحب السعد لامه

وقوله :

وغمامة نشرت جنـاح حمامة والبرق قد نسج الظلام نهارا
متألق صدع الدجى وسقى الثرى فأبيض ذا نوراً وذا أُوّارا
في أجرع خاف الربيع به ابنه كرماً ، فأخصب ربوةً وقرارا
هفت الصبا منه بمسري ديمه هطلاء قرّبها العجاج وقارا
وكفت فسالت فضة ولربما طبعت بكل قرارة دينـارا
نثلت به زرق النطاف سوابغاً زرقاً وجردت الشعاب شفارا
فكأنما فلت هناك كتيبة فرمت به عنها السلاح فرارا
ارضٌ هبطت بها سماء طلقة وخبطت من سدف بها أنوارا

وقوله :

فالروض مهتز المعاطف نعمة نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضفضه الندى ثم انجلى عنه فذهّب صفحتيـه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة طرف يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو الى عواده شاك ويلتمح العزيز ذليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله في الكأس :

والكأس طرف أشقر فدجال في ... عرق عليه من الحباب يسيل

وقوله :

ولوى الخليج هناك صفحة معرض ... لثمت سوالفها ثغور أقاح

ومثل ذلك كثير في شعره :

(٢) — كثرة توليده معاني فنون الشعر غير وصف الطبيعة كالمدح والرثاء والغزل من معاني وصف الطبيعة ويضيق بنا المقام عن كثير من الشواهد الممثلة لما نقول كل التمثيل فنحيل القارئ الى دبوانه (طبعة جمعية المعارف المصرية) في صحائف ١٢ و١٣ و١٥ و١٦ و١٧ و٣٦ و٤٠ و٤٦ و٦٩ و٩١ و٩٤ و٩٧ و١٠٢ و١١٠ الخ .

ونشير الى ذلك بأبيات فمن ذلك قوله في رثاء وزير من قصيدة :

في كل ناد منك روض ثناء ... وبكل خد فيك جدول ماء

ولكل شخص هزة الغصن الندي ... غب البكاء ورنة المكاء

يا مطلع الانوار انت بمقلتي ... أسفاً عليك لمنشإ الانواء

ومنها :

جالت بطرفي للصبابة عبرة ... كالغيم رق فخال دون سماء

ومنها :

فلطالما كنا نريح بظله ... فنريح منه بسرحة غناء

فنقت على حكم البشاشة نورها ... وتنفست في أوجه الجلساء

وقوله في المدح و يدعو على نفسه :

فان انا لم أشكرك والدار غربة ... فلا جادني غاد من المزن رائح

ولا استشرفت يوماً اليّ به الرّبا ... جلالاً ولا هشت اليّ الأباطح

(٣) — توليد بعض معانيه من بعض بل ربما كرر اللفظ مع المعنى ناحياً بذلك منحى ابن الرومي ، كان اذا اخترع معنى او استحسنه لا يزال يلح عليه بالاستعمال ، و يستقصي في استخراج صور متعددة منه ، وذلك كثير في شعره . وفي قليل ما نذكره شبه بما لم نذكر . فمن ذلك قوله من قصيدة زهرية :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ارتدت غصن النقا وتقلدت حلي الحباب سوالفُ الانهار

ويقول في قصيدة أخرى :

وبحر ذيل غمامة لبست به وشي الحباب معاطف الانهار

وقوله في القصيدة الاولى :

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا درر الندى ودراهم النوار

ويقول في الثانية :

نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا درر الندى ودراهم الأنوار

(٤) — كثرة اختراعاته للمعاني الرائعة وحسن تصرفه في معاني غيره حتى تصبح ناصيتها في ملك يمينه واكثر ما يكون ذلك منه في التشبيهات والاستعارات كقوله في وصف فرس :

وأدهم لولا أنه راق صورةً لما عرفته العين من ليلة الهجر

وقوله في وصف معركة يصف السيوف والنقع :

والبيض تحنى في الطلى فكأنما لُوبِثْ غُرّاً منها على أزرار

والنقع يكسر من سنى شمس الضحا فكأنه صدأ على دينار

وقوله في حسن التعليل :

وما أرغت الكاس في كفه ولكنها ضحكت عن سرور

وقوله :

وجه به من بدع الحسن ما يقيم للعاشق أعذارا

قد طبع الحسن به درهماً تسبك منه العين دينارا

(أي من الخجل)

وقوله في وصف ذميمة متحلية :

الا بكى الدر فوق حالية حلى بها العقدُ شرّ ماحلى

يرى بها ما يمر من خلق مخبأً تحت منظر الجلى

قد راق مرأى وساء مختبرا فهل ترى الثمر به دفلى

والدفلى هي شجرة ورد الحمار جميلة الزهر سامة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله في وصف فرس أشقر عليه حلية من فضة :

بسام ثغر الحلي تحسب انه كأس أثار بها المزاج حبابا

وقوله في وصف ساق :

وأهيف قام يسقي والسكر يعطف قده
وقد ثرنح غصناً واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خداً أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي وكدت أشرب خده

وقوله في السرى :

ورفلت في خلع عليّ من الدجى عقدت لها من أنجم ازرارُ

وقوله :

صح الهوى منك ولكنني أعجب من بَيْنٍ لنا يُقْدَر
كأننا في فلك دائر فأنت تخفى وانا أظهر

(٥) — إكثاره من الإغارة على معاني غيره ، بالرغم من ثروة شعره بالمعاني المخترعة والأخيلة الرائعة ، ولكن هذه فطرة البشر يأخذ الآخر عن الاول مايحسن .

فمن ذلك قوله يصف الصباح في بيتين أبدع الاول وسرق الثاني :

وفي مصطلى الآفاق جمر كواكب علاها من الفجر المطل رماد
ولما تفرى من دجى الليل طحلب وأعرض من ماء الصباح ثماد
عنمت وقد ناح الحمام صبابة وشق من الليل البهيم حداد

سرق الثاني من قول البحتري .

حتى تبدى الصبح في جنباته كالماء يلمع من خلال الطحلب

وقوله :

فلو انهم خلدوا خلود ثنائهم لم ينفصم عنهم عرا الأعمار

اخذه من قول المتنبي .

كفل الثناء له برد حياته لما انقضى فكأنه منشور

وقوله في مليح :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا رنا يجرحني طرفه لحظتـه أجرحه ثارا
فيصبغ الدرّ عقيقاً به وأصبح النوار أزهارا

اخذه من قول احمد بن عبد ربه صاحب العقد وزاد عليه ·

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله درّاً يعود من الحيـاء عقيقا

وقوله :

وكل حياة الى منتهي اجل ولكل حمام اجل

اخذ كل الشطر الاول من بيت ابن هانئ الاندلسي من مطلع مرثية له مقصورة وهي :

مهما كل آت قريب المدى وكل حيـاة الى منتهى

وربما كان هذا من اتفاق الخواطر لانه معنى مبتذل · وقوله :

فها هو في السن السلامُ تأخرا وفي المجد عنوانُ الكتاب تقدُّما

ولد من قول المتنبي في رائيته يمدح عضد الدولة وابن العميد :

من مبلغ الأعراب اني بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا

الى ان يقول :

ورأيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا كما نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك اذ اتيت مؤخرا

لان لفظ (فذلك) كانت تذكر في الحساب عند نهايته فيقال فذلك كذا وكذا ولفظ (السلام) يوضع في آخر الخطاب ·

وقوله يمدح :

جدير باحراز العلا غير راكض مفـذٌ وادراك السهى غير قائم

اخذه من قول اسحق الموصلي يفتخر بولائه لخزيمة بن خازم ·

اذا مضر الحمراء كانت ارومتي وقام بنصري خازم وابن خازم
عطست بانف شامخ وتناولت بداسـي الثريا قاعداً غير قائم

ويقول ابن خفاجة في هذا المعنى ايضاً من قصيدة :

من منزل قد شبّ من نار القرى ما شـاب عنه مفرقُ الظلماء
لو شئتُ طلت به الثريا قاعداً ونثرت عقـد كواكب الجوزاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ما يؤخذ عليه »

يؤخذ على ابن خفاجة عدة امور : منها مداخلة بعض معانيه في بعض وازدحامها في البيت ، ومنها افراطه في استعمال المجاز وإيثاره على الحقيقة والحق انه لا يصار الى المجاز الا اذا قصرت الحقيقة عن أداء المعني وتجميله ، ومنها خفاء بعض معانيه لخفاء لوازم المجاز او التجريد كقوله :

ولقد جريت مع الصبا جري الصبا وشربتهـا من كف احوى احور
ناجيت منـه عطاردا ولربما قبلته فشممت وجه المشتري
تندى بفيه أقاحة نفاحة شربت على ظمأ بماء الكوثر

فقد يخفى مايريد في البيت الثاني ، فان قيل انه أراد المريخ لانه احمر اللون فغلط بذكر المشتري كما غلط امرؤ القيس في قوله : « اذا ما الثريا في السماء تعرضت » يريد الجوزاء لان الثريا لاتجري عرضاً — فهو يريد ان وجهه احمر بالتقبيل .

قلت : فلا يظهر بسهولة تخصيص التشبيه بعطارد عند المناجاة فان أراد انه في بدء المناجاة كان ابيض الوجه كعطارد ثم احمر بعد التقبيل كالمشتري ، فلمَ خص عطارداً ؟ مع ان اكثر النجوم يبض على ان من سيارات الشمس ما هو ابيض ايضاً كالزهرة .

ومنها بعض اخطاء في اللغة اواحكام القافية فالاول كاستعمال لفظ (اقاحة) في البيت الثالث المتقدم على انه مفرد اقاح بدون ياء معران (اقاح) هذا اصله اقاحي بياء مشددة وقد يخفف ويستعمل استعمال قاض وداع وعلى كل حال فالمفرد ليس الا القحوانة ويقع في هذا الخطإ كثير من الشعراء والكتاب . والثاني كوقوع الايطاء في القافية دون مرور سبعة ابيات على الاشهر في معني القصيدة فانه يقول :

وسرى يطير به عقاب كاسر أمسى يلاعب من عنان ارقما

ثم قال بعد اربعة ابيات :

وسرى الهلال يدب فيها عقربا وانساب منعطف المجرة ارقما

ومنها بروز بعض تشبيهاته وخروجها عن مألوف الذوق العام في كل زمان كقوله في مطلع قصيدة يمدح بها اكبر امير من الملثمين في الاندلس :

ألا هل أطل الامير الاجل ام الشمس حلت ببرج الحمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولايخفى علينا انه شبه وجه الامير بالشمس في اول الربيع ولكن يرد في جعل هذا الوجه حالاً في حمل — وقوله منها :

يشد اللثام على صفحة ترى البدر منها بارقي زحل

فانه يريد مع خفاء المعنى ان فلك البدر ادنى فلك الى الارض مع انه عند تشبيه الامير به تراه ابعد الكواكب في ارتفاع المنزلة وانت تعلم ان جميع اصحاب الطوالع والقرانات ويتابعهم الادباء ان طالع زحل نحس — ومن ذلك قوله يتغزل في مليح ويصفه :

من بلق من لاعج وجد به ريحاً فقد لاقيت إعصارا

تخفق احشائي به دوحة وتثير الأعين نوارا

تخفق الاحشاء هنا الشاملة للامعاء قبيح واستعمالها مع الريح والاعصار اقبح . وغير ذلك كثير .

« الموازنة بينه وبين غيره »

اذا وازنا ابن خفاجة بكل شاعر من شعراء الاندلس وصاف الطبيعة وجدناه يبذهم جميعاً في هذا الباب واقرب الناس شبهاً به من شعراء المغاربة ابن حمديس الصقلي فانه أجاد وصف الطبيعة بما يقارب وصف ابن خفاجة او يساويه ولكنه زاد عليه وصف امور كثيرة كوصف القلاع والحصون والمصانع والقصور والتماثيل وكثيراً من أنواع الحيوان وزاد عليه في أغراض أخرى غير الوصف ، فانه يجيد الهجاء ، وابن خفاجة ليس له في هذا الباب قليل ولا كثير ويجيد المدح وهو صناعته التي يتكسب بها ، وفي ذلك يجيء ابن خفاجة معه مصلياً لامجلياً ، ويجيد الخمريات وله فيها الكثير الجميل .

وامتاز عن ابن خفاجة بشكوى الزمان والمرض والغربة عن الأوطان والشيخوخة والثقل في البلاد والفخر الجيد والتحريض على الجهاد وطول القصائد غالباً ، ولقد يرجح ابن حمديس على ابن خفاجة في جملته . واقرب الناس شبهاً به من المشارقة الصنوبري فانه وصاف طبيعة مثله حتى يقايسه أدباء المغرب والمشرق به فيقولون في ابن خفاجة (صنوبري المغرب) غير ان الصنوبري أرق شعراً وأسهل ، وابن خفاجة اجزل لفظاً وادق معنى ، ومن شبهه بابي الفتح كشاجم فقد ابعد به عن حلبته ، لان كشاجم وصاف لكل شيء ، ومقل في وصف الطبيعة عن ابن خفاجة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اما مقايسته بابن المعتز وابن الرومي والبحتري فكل هؤلاء يفضلونه بمجموع مزاياهم ، فابن المعتز يفضله بالرقة وجمال التخيل واجادة الطرديات ووصف مجالس الانس، والبحتري وابن الرومي يفضلانه بالتبريز في كل غرض من أغراض الشعر حتى وصف الطبيعة نفسها وان قل شعرهما فيه عنه .

اما الموازنة بينه وبين غيره في قطعة من الشعر قالها وقطعة قالها غيره فقد يفوق ابن خفاجة وقد يتخلف . ومن ذلك ماروا ه المقري عنه قال : « قال ابن خفاجة في ديوانه .... وخرجت يوماً بشاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه ابي عمران بن ابي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك فألفيته جالساً على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست مستأنساً به فجرى اثناء ماتناشدناه ذكر قول ابن رشيق :

يا من يمر ولا تمر ... به القلوب من الفرق
بعمامة من خده ... او خده منها استرق
فكأنه وكأنها ... قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى ... واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا ... نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جداً وأثنى عليها كثيراً ، احسن ما في القطعة سياقة الاعداد والا فانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين الفاظ البيت الاخير والبيت الذي قبله فينزل بازاء كل واحدة منها مايلائمها وهل ينزل بازاء قوله (واذا نطق) قوله (شغل الحدق) وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديهاً :

ومهفهف طاوي الحشا ... خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة ... تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى ... واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما ... مة والحمامة والقمر

فجن بها استحساناً » اه . قال ابن ظفر : « والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب احد شعراء اليتيمة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحن نوافق ابن خفاجة في تفضيل قطعته على الاخرى الا انه لا يغيب عليك ان السابق هو الذي فتح الباب ، وطرق لابن خفاجة سرد النظيم على ما في استعمال لفظ الغزالة مؤنثاً للغزال من خلاف بين اللغو بين وانها الشمس عند اكثرهم .

ومن هذه القصة تعرف ان ديوانه المطبوع ليس هو النسخة التي جمعها بنفسه لانها لاتوجد فيه كما انه وجدت اشعار له خارجة عنه وشهرة ابن خفاجة تستدعي ان له ديواناً اكبر منه وتجد في ديوانه بعض موازنات بين مقطعات له ومقطعات لغيره فراجعه ان شئت .

« كتابته »

وابن خفاجة كاتب جيد على طريقة الاندلسيين الجارين على طريقة ابن العميد واكثر كتابته خيالات شعرية .

ولم نتعرض للكلام على كتابته هنا بنوع تفصيل لاننا نترجم له شاعراً لا كاتباً ولان كتابته لاتمتاز عن كتابة غيره بفضل بلاغة او رقة او ميزة لفظية .

« مختارات من شعره »

ومن شعره يصف علماء السوء من المسلمين والقساوسة من النصارى :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم ... فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة ... في اخذ مال مساجد وكنائس

وقال :

احسُّ المدامة والنسيم عليل ... والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد تنبه دامع ... والماء مبتسم يروق صقيل
وتطلعت من برق كل غمامة ... في كل أفق راية ورعيل
حتى تهادى كل خوطة أيكة ... ربا وغصت تلعة ومسيل
عطف الاراكة فانثنت شكراً له ... طرباً ورجع في الغصون هديل
فالروض مهتز المعاطف نعمة ... نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى ... عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارند ينظر في نقاب غمامة ... طرف يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو الى عواده ... شاك ويلتمح العزيز ذليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال يبدي رأيه في تربية الطفل :

نبه وليدك من صباه بزجرة ... ولربما أغضي هنـاك زكاؤه
وانهره حتى تستهلّ دموعه ... في وجنتيه وتلتظي احشاؤه
فالسيف لا تذكو بكفك ناره ... حتى يسيل بصفحتيـه ماؤه

وقال في طيف الخيال :

ورداء ليل بات فيـه معانقي ... طيف ألمّ لظنبـة الوعساء
فجمعت بين رضـابه وشرابه ... وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت في ظلماء ليلة وفرةٍ ... شفقاً هنـاك لوجنـة حمراء
والليل مشمطّ الذوائب كبرة ... خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والسكر يسحب فرعه ... ويجر من طرب فضول رداء

القاهرة : احمد الاسكندري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net